بسم الله الرحمن الرحيم

الأولاد نعمة من نعم الله التي امتن بها على عباده، نعمة يختص الله بها من يشاء من عباده، ويمنعها عمن يشاء، قال تعالى:{وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[الشورى: ٤٩، ٥٠]

نعمة تستوجب الشكر، شكراً ليس باللسان وحده، إنما بما هو أعمق وأبلغ، وهو إحسان تربيتهم وفق المنهج الذي أراده الله سبحانه وتعالى، تنشئتهم على محبة الله وخشيته ومراقبته في السر والعلن، وكذا محبة النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاءِ أثر سنته، وبذلك يكونون قرة أعين، كما هو مطلب عباد الرحمن:{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان: ٧٤].

وهل لدينا بعد توحيد الله تعالى وحسن عبادته من مشروعٍ أهم وأولى من تربية أولادنا والسهر عليهم بالعناية والرعاية والتوجيه والإرشاد ليكونوا صالحين مصلحين؟

فهم بهجة الدنيا وزهرتها وزينتُها كما قال تعالى:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الكهف: ٤٦] فهم بهجة إذا أحسنا رعايتَهم وتربيتهم...ومحنة ونقمة إن لم نحسن رعايتهم وتربيتهم، قال تعالى:{أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}[الأنفال: ٢٨]

وتعالوا لنسأل أنفسنا بصدق، هل نحبهم الحب الذي يدفعنا بصدق وإخلاص لنحسن تربيتهم؟ وهل استجبنا فيهم لأمر الله تعالى بتنشئتهم على الإيمان به وتوحيده والتنافس في طاعته والعمل على وقايتهم من سبل الغواية في الدنيا والهلاك في الآخرة؟ وهل أنشأناهم على كريم الأخلاق؟ أم أن مشاغلنا الدنيوية المادية، هي أولى من أفلاذ أكبادنا؟ أسئلة لابد أن نجيب عنها بصدق...ولعل الواقع يقول لنا أننا مفرطون مقصرون، والدليل على ذلك، ما نراه في أجيالنا من عواقب ذلك؟

قد يزعم أكثرنا، أنهم لم يقصروا في شيء من لوازم وضرورات عيش أولادهم، في المسكن والمطعم والملبس والعلاج والدراسة والترفيه، ويظنون أنهم بهذا قد قاموا بواجب التربية، وفي الحقيقة، هم قاموا بواجب الرعاية فقط والذي هو حق من حقوق الأولاد على آبائهم، ولكن أولادَنا أحوج إلينا فيما هو أهم وأولى وأعظم وأغلى من الرعاية هم بحاجة للتربية، تربية الروح والعقل والقلب، بحاجة للغذاء الروحي الإيماني

والخُلقي، الذي يشبعهم بضرورات الاستقامة على طاعة الله جل وعلا، والكثير من الصفات النفسية الإيجابية التي هي من صميم الإسلام لبناء النفس الإنسانية القوية السوية، القادرة على التفاعل الحيّ مع القيم.

إذا أردنا أن نجني ثمار جهودنا وتضحياتنا، إذا أردنا أن ندرك بِر أولادنا، إذا أردنا أن نتذوق حلاوة صلاحهم ونفعهم، فلنربطهم بالحياة الباقية، لنصلهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ليكن همنا كيف نرضي الله في تربيتهم لا أن نُرضي الناس في رعايتهم...ليكن همنا أن نجتمع بهم في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

*وتذكروا أن أسراً كثيرة ستتفرق في ذلك اليوم يوم الحشر، أسر بأكملها يتنكر أفرادها بعضهم لبعض، قال تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس: ٣٣ – ٣٧] وقوله:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[لقمان: ٣٣]

الأسر التي كان همّ راعيها والمسؤول عنها، الدنيا فحسب! همه أن يمتلك بيتاً في الدنيا وأن يملأ بطون أولاده، همّ راعيها والمسؤول عنها أن يخلف لأولاده ثروة ومالاً ولو كان يعلم أن أولاده بعيدي عن شرع الله ولربما استعانوا بها من بعده على معصية الله...همه حضور أولاده وانضباطهم في المدرسة ولا يهم إن غابوا عن المسجد وهجروه، همه ارتفاع معدل أبنائه ودرجاتهم في الدراسة، ولا يهم لو انخفض مستوى إيمانهم وأخلاقهم.

لقد ابتعد أولادنا عن منهج الله وشرعه، وتركوا طريق الهدى والنور، وساروا يتخبطون في الظلمات، أولادنا ابتعدوا عن الدين وتعاليمه، بل أصبحوا لا يعرفون من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه...هجروا المساجد فلا يعرفون طريقها، هجروا القرآن فلا يعرفون قيمته ولا كيف يقرأ، أخذت ألسنتهم بدلا من حفظ القرآن وتلاوته في تعلم وحفظ ما يغضب الرحمان، ألسنتهم اعتادت السباب والشتائم! بل الأعظم من ذلك تطاولت ألسنتهم في سب الله والملة والدين.

زلّت أقدامهم وسارت بهم إلى الشرّ والفتنة والفساد، قادتهم أقدامهم إلى التشبث بالغرب وعاداته وتقاليده وموضاته، أصبح الممثلون والمغنون الساقطون المنحطون المفسدون قدوة لأولادنا، يقتدون بهم ويقلدونهم في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وحركاتهم.

تقليد قتل في أولادنا روح الانتماء لهذا الدين ولأمة الإسلام، بل تركهم أجسادا بلا أرواح...

قال ابن القيم:((من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم بسبب إهمال الآباء لهم وتركهم دون أن يعلموهم فرائض الدين وسننه...أضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بهم كبارا))...لنغرس في قلوب أبنائنا من صغرهم، بأسلوب يناسب أعمارهم وعقولهم، ما ينفعهم في دينهم ودنياهم...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين